أحلاف قريش قبيل الإسلام من خلال كتاب المنمق في أخبار قريش لإبن حبيب (ت 245هـ/858م)
دراسة في النشاط الاقتصادي

م.د. عروبة حاتم عبيد
المديرية العامة للتربية في محافظة بابل

Pre-Islamic Quraish Alliances in the Book "Al-Munammaq fi Akbar Quraish" by Ibn Habeeb (d. 245 Hegira / 858 A.D.) – A Study in Economic Activity

Dr. Urooba Hatim Ubaid
The General Directorate for Education In the Governorate of Babylon

Abstract

Alliances have gained a lot of interest from the scholars and researchers for a long time because they reflect the glory of Quraish, the bright history of this tribe, and the honourable position of the Arabs as a whole in Mecca and outside it. The book "Al-Munammaq fi Akbar Quraish" is one of the main sources that involved many narratives about alliances which reflect the economic purport that had a vital role in the policy of the tribes and the great nations to have a footstep on the way of the international trade.

المقدمة:

إننا نقول طالما كانت الأحلاف موضع إهتمام العلماء ودراسة الباحثين لزمن طويل؛ لأن فيها توضيح لعزة قريش ومجدها والجوانب المشرقة في تاريخ هذه القبيلة وشرف ومنزلة العرب قاطبة، في مكة وخارجها.

وكتاب "المنمق في أخبار قريش" واحد من الأصول التي روت روايات عديدة عن الأحلاف، وقد تميزت هذه الروايات بإبراز المضمون الاقتصادي الذي كان له دور هام في رسم طريق السياسة ليس للقبائل فحسب، بل للدول الكبرى للحصول على موطىء قدم في التجارة العالمية، ومن أجل أن تحقق قريش هذه المكانة لجأت إلى عقد الأحلاف وكانت الأحلاف على شقين فهي إما مع الدول وإما مع القبائل؛ لأن المسافر في الصحراء يحتاج إن جنّ عليه الليل أو دهمه خطر بأن يجيره أحد وإلا فإن التنقل في الصحراء يصبح من الأمور المستحيلة وبما أن الجميع معرضون لمثل هذا الموقف؛ لذلك شاع نظام الإجارة وحماية الجار قبل الإسلام وأصبح من الأمور التي لها أثر في التوجهات الإقتصادية للقبائل وتحديد سياستها الإقتصادية.

ومما شجعني على الكتابة في هذا الموضوع لأنه يلقي ضوءاً جديداً على بعض نواحي قريش الغامضة، التي لم يتطرق إليها المؤرخون ممن عاصروا ابن حبيب أو ممن سبقه، ومع ذلك فقد واجهتني العديد من الصعوبات تمثلت أغلبها بعدم وجود كلام محكم السبك في نصوصه النثرية كقوله[1]: "وأجار لهم أموالهم بعدهم من الخروج عبد الله بن معرور"، فالمثل يتسم بالإبهام؛ على الرغم من أنه من أبرز نحويي عصره، ولعل ذلك راجع إلى أن أغلب روايات ابن حبيب هي عبارة عن أقتباسات عن من سبقه من المؤرخين، علاوة على ذلك إنه يدون الرواية بكنية الراوي دون أن يتطرق إلى ذكر إسمه ونسبه مع أن عدة رواة يشتركون معه في الكنية فيسبب الإلتباس والإبهام كقوله [2]: "قال أرطاة"، ولم يصرح من هو. ولابد لنا قبل رواية رواياته علينا أن نقدم عرضاً موجزاً لترجمة المؤلف ومزايا المصنف ومصادره في مادة الأحلاف.

(1) ابو جعفر محمد البغدادي (ت، 245 هـ/ 859 م): المنمق في أخبار قريش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق،، (حيدر أباد، الهند، 1964 م)، ص269.
(2) م. ن، ص103.

أ . ترجمة المؤلف:

هو محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو البغدادي، يكنى أبا جعفر الهاشمي، لا يعرف له أب لذلك نسب إلى أمه وهي حبيب[1]، يعد من الموالي فأمه مولاة لمحمد بن العباس بن محمد الهاشمي[2]، كان أبو جعفر عالماً بالنسب وأخبار العرب واللغة والشعر[3].

روى عن أشهر علماء عصره وهم عمار بن محمد، أبو اليقظان (ت، 182 هـ/ 798 م)، ومحمد بن المستنير، أبو علي الشهير بقطرب (ت، 206 هـ/ 821 م)، وهشام بن محمد بن السائب، أبو النضر الكلبي (ت، 206 هـ/ 821م)، ومعمر بن المثنى، أبو عبيدة (ت، 210 هـ/ 825 م)، ومحمد بن زياد المعروف بإبن الإعرابي (ت، 230 هـ/ 844م)، وأكثر الأخذ عنه الحسن بن الحسين بن عبد الله بن عبد الرحمن، أبو سعيد السكري (ت، 275هـ/ 887م) [4].

عمل أبو جعفر مؤدباً ولكن لم تكن له حلقة بالمسجد إذ كان منزله مقر مهنته[5]، وكانت له علاقة طيبة بالأسرة الحاكمة في عصره يتضح ذلك من خلال جمعه مصنفاً أسماه (كتاب القبائل الكبيرة والأيام) للفتح بن خاقان آخر وزراء الخليفة العباسي المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بن الرشيد (232 . 247هـ/ 846–861م) والمقتول معه في السنة نفسها[6].

حظي أبو جعفر بالتوثيق من قبل العديد من العلماء إذ قال فيه ابن النديم[7]: "كان من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل "، وقال فيه الخطيب البغدادي[8]: "كان حافظاً صدوقاً"، إلا إن الحموي قد نال منه وقال فيه[9]: "كان محمد بن حبيب يُغير على كتب الناس فيدعيها ويسقط أسماءهم".

توفي محمد بن حبيب يوم الخميس لسبع بقين من ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومئتين بسرمن رأى[10]، تاركاً العديد من المصنفات عدها الحموي بـ (38) مصنفاً كان أشهرها (المحبر) و(المنمق)[11]، وذكر له أيضاً (المختلف من أسماء القبائل)، و(أنساب الشعراء) [12].

ب . كتاب (المنمق في أخبار قريش):

يعد هذا المصنف من المصنفات الهامة التي لا مناص لأي باحث في التاريخ الرجوع إليه والتمعن في روايته المتميزة لأنه يحتوي على قسط وافر من مواد جديدة لم أطلع عليها في أمهات المصادر المطبوعة كالسيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك بن هشام (ت، 218 هـ/ 832م)، وطبقات ابن سعد لمحمد بن سعد بن منيع الزهري (ت، 230 هـ/ 844 م)، وأخبار مكة لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي (ت، 250 هـ/ 864 م).

---

(1) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت، 463 هـ/ 1070 م): تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1997 م)، ج2، ص276.

(2) الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت، 626 هـ/ 1228 م): معجم الأدباء، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت)، ج17، ص113.

(3) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت، 597 هـ/ 1200 م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1992 م)، ج11، ص336؛ الحموي: معجم الأدباء، ج17، ص112.

(4) الحموي: معجم الأدباء، ج17، ص113 - 114.

(5) م. ن، ج17، ص114.

(6) م.ن، ج17، ص116؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت، 911 هـ/ 1505م): تاريخ الخلفاء، تحقيق: ابراهيم صالح، ط2، (دار البشائر، دمشق، 2003 م)، ص 407، 412؛ الطهراني، أغابزرك محمد حسن: الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط2، (دار الأضواء، بيروت، د. ت)، ج17، ص29.

(7) ابو الفرج محمد بن اسحاق (ت، 380 هـ/ 995 م): الفهرست، تحقيق: رضا تجدد علي بن زين العابدين، (د. مط طهران، 1971 م)، ص 119.

(8) تاريخ بغداد، ج2، ص276.

(9) معجم الأدباء، ج17، ص113.

(10) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج2، ص276.

(11) معجم الأدباء، ج17، ص115- 116.

(12) ابن ماكولا، أبو نصر علي بن هبة الله (ت، 475 ه/1082 م): الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والألقاب، تحقيق: نايف عباس، (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د. ت)، ج1، ص4؛ السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت، 562 هـ/ 1166 م): الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط1، (دار الجنان، بيروت، 1408 ه)، ج1، ص7.

وعلى ما يبدو فإن مفردات أكثر من نصف الكتاب لا يشترك فيها مشترك من الكتب المطبوعة التي بأيدينا وإنه ملئ ثغرات هامة في التاريخ برواياته التي انفرد بذكرها وقد توسع مفصلاً إياها، وخاصة جانب الأحلاف، وزعامة هاشم، وحديث الإيلاف، والأحلاف بين القبائل،، منها حلف الفضول وقد توسع فيه علاوة على الربط مع باقي الأحلاف الأخرى، لكن تلك الموضوعات لم تكن ذات تسلسل زمني متناسق، فكانت أولى محتويات الكتاب فضائل العباس بن عبد المطلب، وربما هذا جاء من العصر الذي عاشه الكاتب وهو العصر العباسي لذا حتم عليه أن يمجد أجدادهم العباسيين.

أما دوافع التأليف فيشير إليها محمد بن حبيب بقوله [1] أن: " أول ما ذكر من أحاديث قريش ما خصها الله به من الفضل والمن على سائر الخلق وأنه بعث منها نبي الرحمة وأنزل عليه القرآن بلسانها "، والقصد من وراء هذا النص إن محمد بن حبيب دون ما لهذه القبيلة من مآثر وأن الرسول (ﷺ) نجم هذه القبيلة الذي يهتدى به هو أحد أحفاد هذا الصرح العظيم.

ت . موارده:

أقتبس محمد بن حبيب من علماء عصره وممن أكثر منهم بحسب ما ذكره في كتابه [2] وهم:

1 . عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمران المعروف بإبن أبي ثابت وهو الزهري المدني (ت، 197 هـ/ 812 م): إقتبس من كتابه (الأحلاف التي عقدتها قريش).

2 . أبو البحتري وهب بن وهب بن كثير... بن قصي بن كلاب القرشي المدني (ت، 200 هـ/ 815 م): إقتبس من كتابه (الفضائل الكبير) وفيه فضائل قريش، وكتاب (نسب ولد اسماعيل) وفيه تاريخ قريش وبني عبد المطلب.

3 . هشام بن محمد بن السائب (ت، 206 هـ/ 821 م): إقتبس من كتابه (حلف عبد المطلب وخزاعة)، وكتاب (حلف الفضول)، وكتاب (القاب قريش) وغيرها.

4 . أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت، 210 هـ/ 825 م): إقتبس من كتابه (الحمس من قريش) وكتاب (القبائل).

الحلف في اللغة والإصطلاح:

الحلف لغةً مأخوذ من الحِلف الواحدة حِلفة، ويقال محلوفة بالله، وحالف فلان فلاناً فهو حليفه وبينهما حِلف لأنهما تحالفا بالإيمان أن يفي كل لكل[3]، وقيل: الحلف بالكسر العهد يكون بين القوم وقد حالفه، أي عاهده، وتحالفوا أي تعاهدوا[4]، والحلف: الجوار والإجارة[5]، وعن الحلف نقل ابن حبيب قول رسول الله (ﷺ) " لا حلف في الإسلام وما كان في الجاهلية فلا يزده الإسلام إلا شدة"[6]، هذا لا يعني بأن الإسلام قد نهى عن التحالفات؛ بل نُهى عنها لغرض القتال بين القبائل والغارات، وإما ما كان منه في الجاهلية على نصرة المظلوم وصلة الأرحام كحلف المطيبين وما جرى مجراه، وفيه قال رسول الله(ﷺ) " وأيما حلف كان في الجاهلية فذلك الذي بُوركت القبائل بعقده"[7].

والحلف في الإصطلاح يعني المعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق[8]، والحلف العهد[9]. وقد وردت عند العرب قبل الاسلام وبعده عدة الفاظ ومرادفات تعني المعاهدة ونذكر منها. الايلاف، الامان، الذمة، الحبل، الجوار، الوصل،

(1) المنمق، ص19.
(2) م. ن، ص9 - 10، 48، 171، 219، 229.
(3) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت، 175 هـ/ 791 م): كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ط2، (مؤسسة دار الهجرة، قم المقدسة، 1409 ه)، ج3، ص331 - 332.
(4) الجوهري، اسماعيل بن حماد (ت، 393 هـ/ 1002 م): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، (دار العلم للملايين، بيروت، 1987 م)، ج4، ص1346.
(5) ابن سيدة، علي بن اسماعيل (ت، 458 هـ/ 1065 م): المخصص، تحقيق، خليل ابراهيم جفال، ط1، (دار احياء التراث العربي، بيروت، 1996 م)، ج4، ص70.
(6) ابن حبيب: المنمق، ص261.
(7) ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (ت، 711 هـ/ 1331 م): لسان العرب، ط1، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405 ه)، ج9، ص53.
(8) ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (ت، 606 هـ/ 1209 م): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: أبو عبد الرحمة صلاح بن محمد بن عويضة، ط1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1997 م)، ج1، ص407.
(9) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت، 502 هـ/ 1108 م): المفردات في غريب القرآن، ط1، (دفتر نشر الكتاب، قم المقدسة، 1404 ه)، ص129.

الرَّبابة، العهد، الميثاق[1]. ونجد في تاريخ العرب قبل الاسلام لفظة (الحليفان) للدلالة على تحالف قبيلتين، أو (الاحلاف) تعبيراً عن حلف عقد بين قبيلتين أو أكثر، وقد قصد بها أحلاف عديدة' ولا تقتصر التحالفات على القبائل بل قد تعقد بين الحكومات[2].

تسمية قريش:

وردت عدة روايات حول تفسير هذا اللفظ فهو عند ابن اسحاق مأخوذ من التجمع وفي هذا الصدد قال[3]: "إنما سميت قريش قريشاً لتجمعها من بعد تفرقها"، وقيل: أصل الكلمة جاءت من الترقح أي التجارة والإكتساب[4]، وتارة تعني التفتيش عن حاجة المحتاج وسد خلته[5]، وقيل إن هذا اللفظ مأخوذ من تصغير القرش، وهو حوت في البحر يأكل حيتان البحر، وفي هذا الصدد قال تبع الحميري[6]:

وقــريش التـــي تســـكن البحـــر بهـــا ســميت قــريش قريشــاً

التقرش هنا التجمع، يقال: التجار يتقارشون يتجرون [7]، والرأي نفسه هذا حمله ابن منظور بقوله[8]: "قرش قرشاً جمع... وقرش يقرش قرشاً وبه سميت قريش وتقرش القوم تجمعوا".

وكما أُختلف في تفسير لفظ قريش، فقد ظهر خلاف حول الشخص الذي ارتبط به ظهور هذا الإسم، ونسب علماء اللغة والأنساب والمؤرخون ارتباط هذا الإسم بعدة اشخاص:

الرواية الأولى: ذهبت الى إن قريشاً هم ولد النضر بن كنانة فمن كان من ولده فهو قرشي، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي[9]، فكان أول من سميّ القرشيّ، لأرتفاع همته، وقيل لتجارته وتكسبه[10]، وكان رسول الله (ﷺ) قد أشار إلى هذا الشخص بقوله نحن بنو النضر بن كنانة[11].

الرواية الثانية: ذهبت إلى أن قريش هو قصي بن كلاب[12] لأن قصي كان يجمعها فسمي مجمعاً[13]، وفي هذا الصدد قال الأزرقي[14]: "ويقال أنه من أجل تجمع قريش إلى قصي سميت قريش قريشاً... ويقال كان يقال لقصي القريشي ولم يسمى قريشي قبله"، وفيه يقول حذافة بن غانم الجمحي[15]:

---

(1)ابن سيدة: المخصص، ج4، ص71.
(2)جواد، علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (دار العلم للملايين، بيروت، 1969 م)، ج4، ص 372، 375.
(3) محمد بن يسار المطلبي (ت، 151 هـ/ 768 م): السيرة النبوية، تحقيق: احمد فريد المزيدي، ط1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 2004 م)، ج1، ص68؛ وينظر ـ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري (ت، 218 هـ/ 833 م): السيرة النبوية، تحقيق: محمد نبيل طريفي، ط2، (دار صادر، بيروت، 2005 م)، ج1، ص83.
(4) ابن حبيب: المنمق، ص29؛ الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت، 250 هـ/ 864 م): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، ط3، (دار الأندلس، بيروت، 1983 م)، ج1، ص108؛ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت، بعد 292 هـ/ 904 م): تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل المنصور، ط1، (دار الزهراء، قم المقدسة، 1387 ه)، ج1، ص199.
(5) اليعقوبي: تاريخ، ج1، ص29؛ ابن الفوطي، كمال الدين ابي الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين الشيباني (ت، 723 هـ/ 1323 م): تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: مصطفى جواد، (د مط، دمشق، 1963 م)، ج4، ص585.
(6) هو تبع بن حسان بن كليكرب وهو تبع الأكبر (شمر يرعش ـ يهرعش) بن ناشر (ياسر) النعم الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الدخان: آية رقم (37) والذي قام بالتوجه من اليمن إلى الحجاز لهدم الكعبة، إلا أن حلمه لم يتحقق، قام بعدها بزيارتها والطواف بها وإكسائها ـ ينظر ـ السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الأندلسي (ت، 581 هـ/ 1185 م): الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لإبن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، ط1، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000 م)، ج1، ص80 ـ 81.
(7) الروض الأنف، ج1، ص239.
(8) لسان العرب، ج4، ص335.
(9) ابن هشام: السيرة، ج1، ص82.
(10) ابن حبيب: المنمق، ص29؛ الأزرقي: أخبار مكة، ج1، ص108.
(11) ابن اسحاق: السيرة، ج1، ص68.
(12) هو قصي بن كلاب بن مرة ينتهي نسبه إلى جده الأعلى عدنان أمه فاطمة بنت سعد بن سيل من قبيلة الأزد اليمنية حلفاء بني بكر بن مناة بن كنانة تزوج حُبىّ ابنة حُليل بن حُبشيَّة الخزاعي سيد خزاعة، ولدت له عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وعبد قصي ـ ينظر ـ ابن اسحاق: السيرة، ج1، ص73، ص74؛ ابن هشام: السيرة، ج1، ص90 ـ 91؛ اليعقوبي: تاريخ، ج1، ص203، 205.
(13) ابن هشام: السيرة، ج1، ص103؛ ابن سعد، محمد بن منيع الزهري (ت، 230 هـ/ 844 م): الطبقات الكبرى، تحقيق: رياض عبد الله عبد الهادي، ط1، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1996 م)، ج1، ص30.
(14) أخبار مكة، ج1، ص108 ـ 109.
(15) ابن حبيب: المنمق، ص29؛ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن عثمان (ت، 255 هـ/868 م): الرسائل، تحقيق: علي بو ملحم، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، 2010 م)، ص401؛ السهيلي: الروض الأنف، ج2، ص34.

أبوكم قصي يدعى مجمعاً به جمع الله القبائل من فهر

الرواية الثالثة: نسبت قريش لفهر بن مالك فمن كان من ولده فهو قريشي ومن لم يكن من ولده فليس بقريشي[1]، وذكر ابن هشام إن فهر لقب انسحب الإسم على القبيلة التي إنحدرت منه[2].

الرواية الرابعة: مفادها أن قريش نسبت لقريش بن بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، لأن عير بني النضر كانت إذا قدمت، قالت العرب: قد جاءت عير قريش، وكان قريش دليل النضر في أسفارهم وصاحب ميرتهم، وكان دليل قومه قبل الإسلام في متاجرهم[3].

ولمقارنة تلك الروايات نجد إن الرواية التي ذهبت إلى القول بأن قريشاً تنسب إلى قصي هي رواية ضعيفة؛ لأن لفظة قريش سابقة لعهد قصي والدليل على ذلك ما أشار إليه ابن سعد بأن فاطمة بنت سعد أم قصي بن كلاب كانت تخاطب ابنها "أبوك كلاب بن مرة بن كعب القرشي"[4]، أما الرواية التي قرنت قريش بقريش بن بدر فلا يمكن الإستناد عليها لأن النسابين وأهل الأخبار لم يدخلوا في نسب قريش إلا من كان من ولد فهر بن مالك، أما الروايتان اللتان تتعلقان بالنضر بن كنانة وحفيده فهر بن مالك فهما الجديرتان بالتوثيق لأن مالك هو من ولد النضر، ومن كان من ولده فهو قرشي ومما يؤكد صحة هذه الرواية قول رسول الله (ﷺ)" إن الله عزوجل اختار من الناس العرب ثم اختار من العرب كنانة أو النضر بن كنانة ثم اختار منهم قريشاً"[5]، وفي هذا الحديث الشريف دلالة واضحة بأن التسمية جاءت بعد النضر بن كنانة.

ومهما يكن من أمر هذا الإختلاف إلا أن الحقيقة الثابتة بأن لرجال هذه القبيلة دور هام في عقد الأحلاف التي عدت الأساس في بناء مكة الإقتصادي، وقد عقدت هذه الأحلاف أما بين الحكومات أو بين القبائل، وسيتم بحث هذه الأحلاف على شقين، الأول: الأحلاف بين الدول، والذي إقتصر فيه ابن حبيب على الإيلاف بأعتباره أهم حلف عقد قبيل الإسلام، والثاني: الأحلاف بين القبائل، وقد تم ترتيب هذه الأحلاف حسب التسلسل الهجائي.

أولاً: الأحلاف بين الدول

الإيلاف:

الإيلاف يعني العهد والذمام[6]، وانه الإجارة[7]، وقد ذكرت المصادر التأريخية الإيلاف باشكال ومعاني عدة منها ماجاء عند ابن هشام على أنها مشتقة من الألف، وقال: إن العرب تقول ألفت الشيء إلفاً، وألفته إيلافاً، في معنى واحد والإيلاف أيضاً: أن تؤلف الشيء إلى الشيء فيألفه ويلزمه[8]، ويرى ابن حبيب بان الايلاف يعني امان الناس عند ورودهم بارض غيرهم بغير حلف، وكذلك جاء عنده بمعنى الدأب[9]، غير ان البلاذري ذكر بان الايلاف يعني العصم[10]، اما السهيلي فقال انه الحبال والعهود[11].

(1) اليعقوبي: تاريخ، ج1، ص200.
(2) السيرة، ج1، ص82.
(3) الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله (ت، 236 هـ/ 850 م): نسب قريش، تحقيق: أ. ليفي بروفنسال، ط2، (د. مط، مصر، 1976 م)، ص12.
(4) ابن حبيب: المنمق، ص82.
(5) ابن هشام: السيرة، ج1، ص82؛ ابن حبيب: المنمق، ص21.
(6) ابن الأثير: النهاية، ج1، ص62؛ الطريحي، فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن علي (ت، 1085 هـ/ 1674 م): مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسيني، ط2، (د. مط، طهران، 1408 ه)، ج1، ص90.
(7) الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت، 460 هـ/ 1067 م): التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، ط1، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1409 ه)، ج10، ص412.
(8) ابن هشام: السيرة النبوية، ج1، ص 55 - 56.
(9)ابن حبيب، المنمق، ص 43، 219.
(10) أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت، 279 هـ/ 892 م): أنساب الأشراف، تحقيق: محمد باقر المحمودي، ط1، (مؤسسة الأعلمي بيروت، 1394 ه)، ج1، ص 66. العصمة في كلام العرب المنع ـ ينظر ـ ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص403.
(11)الروض الانف، ج1، ص 162.

ورد ذكر الإيلاف في القرآن الكريم في قوله عزوجل: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۞إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۞فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۞الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ۞ ﴾[1]، وقد اختلف أصحاب التفسير في قراءة هذه الكلمة فمنهم من قرأها (لالاف) بغير ياء بعد الهمزة، ومنهم من قرأها بهمزتين مخففتين بكسر الأولى وتسكين الثانية على وزن (ليعلاف)[2]، ومنهم من قرأها بياء ساكنة من غير همزة (ليلاف)[3]، ويرى الطبري إن الصواب في القراءة لأيلاف قريش إيلافهم باثبات الياء فيهما بعد الهمزة من ألفت الشيء ألفه إيلافاً لإجماع الحجة من القراءة عليه وللعرب في ذلك لغتان: ألفت، وآلفت، وتعني المؤالفة[4]. وذكر ابن حبيب إن سبب نزول هذه الآية أن قريشاً كانت قد تعودت رحلتين إحداهما في الشتاء إلى اليمن والأخرى في الصيف إلى الشام، فمكثوا بذلك حتى اشتد عليهم الجهد وأخصب تبالة[5] وجرش[6] وأهل ساحل البحر من اليمن، فحمل أهل الساحل في البحر وحمل أهل البر على الإبل فأرفأ[7] أهل الساحل بجدة وأهل البر بالمحصب[8] فامتار أهل مكة ما شاؤا وكفاهم الله الرحلتين اللتين كانوا يرحلون إلى اليمن والشام[9].

يعد هاشم بن عبد مناف[10] أول من خرج من قريش خارج مكة وإليه يرجع عقد الإيلاف؛ وذلك لأن قريشاً كانت تجاراً وكانت تجاراتهم لا تعدوا مكة، وكانت الأعاجم تقدم عليهم بالسلع فيشترون منهم ثم يتبايعونه من حولهم من العرب، فكانت تجارتهم كذلك حتى ركب هاشم بن عبد مناف إلى الشام [11]، وروى الثعالبي قائلاً [12]: " أول من خرج إلى الشام ووفد إلى الملوك، وأبعد في السفر، ومر بالأعداء وأخذ منهم الإيلاف الذي ذكره الله تعالى هاشم بن عبد مناف "، وروى الزمخشري عن ابن عباس قائلاً [13]: " والله لقد علمت قريش أن أول من أخذ الإيلاف وأجاز لهم العيرات لهاشم والله ما شدت قريش رحالاً ولا حبلاً بسفر ولا أناخت بعيراً لحضر إلا بهاشم، وكانت قريش تجاراً لا تعدوا تجارتهم مكة ".

وكان السبب في ذلك أن قريشاً اشتد عليهم الجهد فأصابت قريشاً سنوات ذهبن بالأموال، فخرج هاشم إلى الشام فنزل بقيصر فأمر بخبز كثير فحمله في الغرائر على الإبل حتى وافى مكة فهشم ذلك الخبز ونحر تلك الإبل ثم طبخها وألقى تلك القدور على ذلك الخبز فأطعم أهل مكة وأشبعهم فقال في ذلك وهب بن عبد بن قصي بن كلاب[14]:

تحمل هاشم ما ضاق عنه وأعيا أن يقوم به ابن بيض
أتاهم بالغرائر متأقات من أرض الشام بالبر النقيض
فأوسع أهل مكة من هشيم وشاب الخبز باللحم الغريض

(1) سورة قريش: آية رقم (1 - 4).
(2) الطوسي: التبيان، ج10، ص412.
(3) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري (ت، 671 هـ/ 1272 م): الجامع لأحكام القرآن، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985 م)، ج20، ص201.
(4) محمد بن جرير (ت، 310 هـ/ 922 م): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: صدقي جميل العطار، (دار الفكر، بيروت، 1415 ه)، ج30، ص393.
(5) بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن ـ ينظر ـ الحموي: معجم البلدان، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979 م) ج2، ص9.
(6) مدينة عظيمة وولاية واسعة في اليمن من جهة مكة ـ ينظر ـ البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت، 487 هـ/ 1094 م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط3، (عالم الكتب، بيروت، 1403 هـ)، ج2، ص376.
(7) اقترب ـ ينظر ـ ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص87.
(8) موضع رمي الجمار في منى وأيضاً موضع فيما بين مكة ومنى وهو أقرب إلى منى وهو بطحاء مكة ـ ينظر ـ الحموي: معجم البلدان، ج5، ص62.
(9) المنمق، ص219.
(10) هو هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، اسمه عمرو ويقال له عمرو العلى، سميّ هاشماً لأنه كان يهشم الخبز ويصب عليه المرق واللحم في سنة شديدة نالت قريشاً ـ ينظر ـ ابن اسحاق: السيرة، ج1، ص74؛ ابن هشام: السيرة، ج1، ص92؛ ابن حبيب: المنمق، ص98.
(11) ابن حبيب: المنمق، ص42.
(12) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت، 429 هـ/ 1037م): ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، ط1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 2005 م)، ج1، ص115.
(13) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (ت، 538 هـ/ 1143 م): الفايق في غريب الحديث، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1417 ه)، ج1، ص49؛ وينظر ـ ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت، 656 هـ/ 1257 م): شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 2005 م)، ج15، ص210.
(14)المنمق، ص42

وقد بلغ ذلك قيصراً فدعا به، فلما رآه وكلمه أعجب به وكان يرسل إليه فيدخل عليه، فلما رأى مكانه منه قال له هاشم: أيها الملك إن لي قوماً وهم تجار العرب فإن رأيت أن تكتب لهم كتاباً تؤّمنهم وتؤّمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يستطرف من أُدم الحجاز وثيابه فيكونوا يبيعونه عندكم فهو أرخص عليكم فكتب له كتاباً بأمان من أتى منهم فأقبل هاشم بذلك الكتاب فجعل كلما مر بحي من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافاً[1]. فهذا العهد هو أول عهد تحريري استطاع بموجبه هاشم الخروج بالتجارة وفق معاهدات موثقة. لم تقتصر المعاهدات التجارية على هاشم وحده بل شملت أخوته الثلاثة وهم (المطلب، وعبد شمس، ونوفل)، فقد كان لهؤلاء الأخوة دور هام في عقد الأحلاف التالية:

1 . خرج المطلب بن عبد مناف إلى اليمن فأخذ من من ملوكهم عهداً لمن تجر إليهم من قريش، ثم أقبل يأخذ الإيلاف ممن مر به من العرب حتى أتى مكة على مثل ما كان هاشم، وكان المطلب أكبر ولد عبد مناف وكان يسمى الفيض وهلك بردمان ([2]) في طريق عودته من اليمن[3].

2 . خرج عبد شمس بن عبد مناف وكان أكبر من هاشم إلى ملك الحبشة فأخذ منه كتاباً وعهداً لمن تجر قبله من قريش، ثم أخذ الإيلاف ممن بينه وبين العرب حتى بلغ مكة، وفيها هلك وقبره بالحجون[4].

3 . خرج أصغر الأخوة نوفل بن عبد مناف إلى العراق فأخذ عهداً من كسرى لتجار قريش ثم أقبل يأخذ الإيلاف ممن مر به من العرب حتى قدم مكة ثم ورجع إلى العراق فمات بسرمن رأى من أرض العراق[5].

وعن هؤلاء الأخوة الأربعة (هاشم، المطلب، عبد شمس، نوفل) قال ابن حبيب[6]: " هؤلاء أول من رفع الله به قريشاً لم تر العرب مثلهم قط ولا أسمح ولا أحلم كانوا... نجوماً من النجوم"، وقال الشاعر مطرود بن كعب الخزاعي[7]:

ياأيهـــا الرجـــل المُحـــوَّل رَحْلـــه	هَـــلاَّ نزلـــت بـــآل عبـــد منـــاف
هبلتـــك أُمـــك لـــو نزلـــت علـــيهم	ضَـــمنوك مـــن جـــوع ومـــن اقـــراف
الآخـــذون العهـــد مـــن آفاقهـــا	والراحلـــون لرحلـــة الإيـــلاف

لم يقتصر الإيلاف على حكومات الشام واليمن والعراق بل شمل أيضاً عقد المحالفات مع رؤساء القبائل القاطنة على الطرق التجارية، فما كان في استطاعة قريش ارسال عيرها إلى بلاد الشام أو العراق أو اليمن بغير رضاء وموافقة سادات القبائل التي تمر قوافل قريش بأرضها، ورضاء هؤلاء السادات بالنسبة لقريش هو أهم من رضاء حكومات بلاد الشام والعراق وغيرها وعن هذه التحالفات قال الجاحظ[8]: "وشرك في تجارته رؤوساء القبائل من العرب ومن ملوك اليمن نحو العبادلة باليمن واليكسوم من بلاد الحبشة ونحو ملوك الروم بالشام فجعل لهم ربحاً فيما يربح وساق لهم إبلاً مع إبله فكفاهم مؤنة الأسفار على أن يكفوه مؤنة الأعداء في طريقه ومنصرفه، فكان في ذلك صلاح عام للفريقين، وكان المقيم رابحاً والمسافر محفوظاً، فأخصبت قريش بذلك... وأتاها الخير من البلاد السافلة والعالية وحسنت حالها وطاب عيشها"، وروى الثعالبي بأن أخذ الإيلاف من رؤساء القبائل يرجع لخصلتين أولهما: أن ذؤبان العرب وصعاليك الأعراب وأصحاب الغارات كانوا لا يؤمنون على أهل الحرم، والخصلة الثانية: أن أناساً من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة، ولا للشهر الحرام قدراً وسائر العرب يحجون البيت ويدينون بالحرمة له[9].

---

(1) م. ن، ص42 - 43.
(2) موضع باليمن ـ ينظر ـ الحموي: معجم البلدان، ج3، ص39.
(3)المنمق، ص44.
(4) م. ن، ص44ـ الحجون ـ موضع بأعلى مكة، وقيل هو الجبل المشرف على مكة ـ ينظر ـ ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت، 739 هـ/ 1338 م): مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط1، (دار الجيل، بيروت، 1992 م)، ج1، ص383.
(5) المنمق، ص44 - 45.
(6) م. ن، ص45.
(7) م. ن، ص 28، 46.
(8) رسائل، ص413.
(9) ثمار القلوب، ج1، ص115.

ومن خلال هذه الإنجازات يمكن القول بأن الإيلاف أعظم انجاز تجاري أوجدته قريش؛ إذ جعل للقريشيين مكانتهم الموموقة بين تلك القبائل المحيطة بهم والساكنة على طريقهم، وبهذا انتشرت تجاراتهم في كل الإتجاهات فإلى العراق والشام واليمن والحبشة، وجعلوا العرب تجار عالميين يشاركون في المواسم التجارية التي تقام خارج مكة، وأعطى لقريش مكانة متميزة لدى الحكام الذين تعاقدوا معهم فمنحوهم معاملة خاصة وحماية في أراضيهم، ويتكامل هذا العامل مع العامل الثاني وهو ما عقد مع سادات ورؤساء القبائل الذين تمر التجارة بأراضيهم؛ إذ لولا هذه العقود والعهود التي تمت معهم لبقيت تجارة قريش محصورة في إطارها الداخلي.

ثانياً . الأحلاف مع القبائل

نجحت قريش في عقد الأحلاف الإقتصادية مع مجموعة من القبائل العربية، من أجل إنجاح نشاطها الإقتصادي، وقد إتخذت تلك الأحلاف مسميات متعددة أشار إليها ابن حبيب في كتابه المنمق، وهي:

1 . الأحابيش:

الاحابيش لفظة مشتقة من حبش وتعني جنس من السودان وهم الاحبش والحبشات[1]، وهم ليسوا من قبيله واحده بل هم مجموعة بطون اجتمعوا وكونوا تكتل قبلي أطلق عليه اسم الأحابيش، تكّون هذا التكتل عند ابن هشام من قبيلة بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة، والهون بن خزيمة بن مدركة، وبنو المصطلق من خزاعة[2]، زاد عليه ابن حبيب قبيلة القارة بن الهون وهم عضل والديش وبطونها كلها، والحيا بن خزاعة، وبنو مالك بن كنانة وهم بأسفل مكة[3]، وهم عند اليعقوبي خزاعة وعضل وديش والقارة وهم بطون من الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس وبنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة[4].

إكتسب الأحابيش اسمهم هذا بعد أن اجتمعوا وتحالفوا عند جبل أسفل مكة يقال له حبشي فسموا بذلك، ونزلوا في أطراف مكة مع قريش الظواهر [5]، وروى ابن حبيب في موضع آخر بأنهم سموا بالأحابيش لتحالفهم بحبشي وهو من مكة على عشرة أميال من ناحية الرمضة [6]

وقد روى ابن حبيب عن سبب الحلف قائلاً[7]: " لما غلب قصي على مكة وغلبت قريش وكثرت وتفرق عنها من كان ينصرها من قضاعة وأسد قلت قريش وخافت بكراً فبعث عبد مناف إلى الهون بن خزيمة والحارث بن عبد مناة فأجابوهم فبعث بنو الحارث إلى المصطلق والحيا فأجابوهم فأقبلت الهون يقودهم أبو ضرار بن مالك وأقبلت الحارث يقودها شيظن بن عمرو وخرج عبد مناف إليهم فحالفهم... فتحالفوا بالله القائلين إنا ليد تهد الهد وتحقن الدم ما أرسي حبشي "، أضاف اليعقوبي قائلاً [8]: " وكان تحالف الأحابيش على الركن: يقوم رجل من قريش وآخر من الأحابيش، فيضعان أيديهما على الركن، فيحلفان بالله وحرمة هذا البيت والمقام والركن والشهر الحرام على النصر على الخلق جميعاً حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وعلى التعاقد، وعلى التعاون وعلى من كادوهم من الناس جميعاً ما بل بحر صوفة وما قام حرى وثبير، وما طلعت شمس مشرقها إلى يوم القيامة، فسمي حلف الأحابيش ".

وروى ابن حبيب رواية أخرى عن سبب الحلف مفادها [9]: "أن رجلاً من بني الحارث عبد مناة بن كنانة هبط مكة فباع سلعة له ثم أوى إلى دار من دور بني مخزوم فإستسقى فخرجت إليه امرأة من قريش، فقال: هلا كنت أمرت بعض الحفدة؟ فقالت: تركتنا بنو بكر نعاماً... فخرج الرجل حتى أتى بني الحارث بن عبد مناة فقال: يا بني الحارث ذلت قريش

(1)ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص 552.
(2) السيرة، ج1، ص272.
(3)المنمق، ص115، 211 - 212.
(4) تاريخ، ج1، ص199.
(5) المنمق، ص229.
(6) م. ن، ص231.
(7) م. ن، ص230.
(8) تاريخ، ج1، ص206.
(9) المنمق، ص54.

لبني بكر، فإن عندكم نصر فنصر، فقالوا: ادعوا إخوانكم بني المصطلق والحيا بن سعد بن عمرو، فركبوا إليهم فجاؤا بهم وسمعت بنو الهون بن خزيمة فركبت معهم ذلك بعد خروج بني أسد من تهامة ".

من خلال ماتقدم يبدو ان الاحابيش قد ارتبطوا مع قريش بهذا الحلف لمصالح مشتركة متعددة كان كلاً من الطرفان بحاجة اليها، فالمكيون يحتاجون الى من يكون معهم للحفاظ على تجارتهم وطرق مواصلاتها ومنع اللصوص وقطاع الطرق من النيل منها وكذلك تقوية وجودهم وكيانهم السياسي بين القبائل الطامعة في المركز الديني والاقتصادي لمكة، من ناحية ثانية أن الأحابيش تسكن مكه وماحولها فهي اقرب الى الموقع الدفاعي عن مركز التجارة، مكه سكنهم وعن مصالحهم التجارية لذلك عندما قتلت بنو بكر رجلاً من احياء مكه وهمت باخراجهم من الحرم تدخلت الاحابيش الى جانب قريش التي طالبت بني بكر بان يدفع اليهم القاتل وأبت بني بكر فكان القتال بين بني بكر من جهة والاحابيش وقريش من جهة اخرى حتى هزمت بني بكر[1]. واستمرت المعارك بين الطرفين حتى توصلوا الى صلح [2].

أما الأحابيش فهم من بطون عربية مختلفة اضطرتهم الظروف الاقتصادية بشكل خاص الى الالتقاء وتكوين تشكيل قبلي جديد بحاجة الى دعم اقتصادي يعزز قوتهم العسكرية القتالية التي تعلمّوها في حياة البداوة والى الاستقرار المرتبط بمصلحة توحدهم على تحقيق مايصبون اليه. وقد عزز ماورد اعلاه الجانب الديني، فالاحابيش من قبائل كنانه وخزاعة وخزيمه[3]، وكانت خزاعة مع قريش حمساً لنزولها في مكه ومجاورتها قريش[4]، تلك الرابطة التي وان كانت تبدو مظهرا دينياً الا ان مضمونها اقتصادي يتعلق بالملبس والمأكل أي مايأكله ومايلبسه الحجاج في الموسم، باعتبار إن موسم الحج أهم موسم تجاري عند العرب وبما إن المأكل والملبس يحتاج إلى تجارة، وعليه فلا بد من حماية القوافل التجارية؛ لذلك استعانت بالأحابيش الذي ضم تكتلهم عدد كبير من القبائل الساكنة على طول الطرق التجارية.

2 . بنو سليم:

تعد هذه القبيلة من قبائل قيس بن عيلان ينسبون إلى سليم بن منصور بن عكرمة[5]، إستوطنت هذه القبيلة الحجاز قبيل الإسلام وتمتد منازلهم من وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي يثرب إلى الجبلين[6] إلى الحرة[7] ومن قراهم ما وقع بين مكة ويثرب[8]، وقد حددها الحربي بالمنطقة الممتدة ما بين نجد والحجاز مما منحها مجاورة الطريق الموصل إلى المدينة من الخليج العربي فضلاً عن موقعها على طريق التجارة الغربي الممتد بين اليمن والشام، كذلك وقوعها على الطريق الذي كان يربط الحجاز بالعراق والذي عرف فيما بعد بطريق الحج[9]

لقد كان لموقع قبيلة سليم على جنبات الطرق التجارية نحو الشمال من الأسباب المهمة التي دفعت قريش إلى إقامة علاقات ودية مع بني سليم حيث تحالف معهم أشراف مكة وكبارها ممن لهم علاقات إقتصادية بهذه القبيلة، وفي هذا الصدد روى ابن حبيب ان أول حلف دخل مكة ما تحالف به حارثة بن الأوقص السلمي[10] وكان من أمره أن حارثة كان رجلاً متعبداً وكان له بيتاً فيه صنم لهم (بني سليم) فقيل له أن بيتاً بمكة يتعبد له وأهله وكل من جاء من العرب، قال: فهو أولى من البيت: لأخرجنَّ إليه، قالوا: إنك لا تستطيع أن تقيم به إلا أن تحالف أهلها فخرج حتى قدم مكة فحالف حين قدم

(1) م. ن، ص 124.
(2) م. ن، الصفحات 132، 137، 200، 201.
(3) البلاذري، انساب الاشراف، ج1، ص 59.
(4) ابن حبيب: المنمق، ص89.
(5) ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت، 456 هـ/ 1063 م): جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار المعارف، القاهرة، 1999 م)، ص263.
(6) يراد به جبلا آجا وسلمى ـ ينظر ـ ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع، ج1، ص311.
(7) وهي كثيرة في بلاد العرب، وهي كل أرض فيها حجارة سوداء ورمل ـ ينظر ـ ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع، ج1، ص388 ـ 389.
(8) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت، 334 هـ/ 945 م): صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، (مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1990 م)، ص245.
(9) أبو إسحق ابراهيم بن اسحق بن ابراهيم بن بشير (ت، 285 هـ/ 898 م): المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق: حمد الجاسر، (د. مط، الرياض، 1969 م)، ص322، 351.
(10) ينسب إلى بني سليم، حفيدته صفية والدة هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس والدة معاوية بن أبي سفيان ـ ينظر ـ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت، 571 هـ/ 1175 م): تاريخ دمشق الكبير، تحقيق: علي شيري، (دار الفكر، بيروت، 1415 هـ)، ج59، ص60.

مكة مع أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وبناء على هذا الحلف استعملت قريش ابنه حكيم محتسباً على سفهائها[1]، كما تحالفت هذه القبيلة مع بني هاشم واستخدمت قريش عدداً من رجالها كادلاء للقوافل التجارية وكان عتبة بن غزوان[2] أحد العاملين كدليل لتلك القوافل[3]، وانتظمت العلاقات التجارية بين الجانبين عن طريق اتفاقيات اقتصادية للعمل سوية بين أغنياء قريش ورجال بني سليم لأستغلال مناجم المعادن الواقعة في ديار بني سليم يتضح ذلك من خلال عقد المبايعة على القرية في حرة بني سليم التي تمت بين أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وبين مرداس وكليب من بني سليم إذ لم يكن عندهما ما ينفقانه عليها فجعلا لحرب ثلثها على على أن ينفق أمية عليها [4].

3 . ثقيف:

أختلف النسابون العرب في أصل ثقيف فقيل هو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن' وإسم ثقيف قيس، يقال أن ثقيفاَ من بقايا ثمود، وقيل هم من إياد بن نزار بن مضر[5]، إستوطنت هذه القبيلة الطائف[6]، والطائف هو وادي وج وهو بلاد ثقيف، وتحف بالطائف وديان كثيره تسيل فيها المياه في موسم الامطار، وحولها عيون وآبار كثيره كانت ذات مزارع ونخيل وأعناب وسائر الفواكه؛ لذلك رغبت قريش في محالفتها لأن مكة في وادً غير ذي زرع والطائف منطقة زراعية، وليس بالحجاز بعد مكة أكثر مالاً وتجارة منها[7].

وكان سبب حلف ثقيف في قريش أن قريشاً حين كثرت رغبت في (وادي وج) الطائف فقالت لثقيف: نشرككم في الحرم وأشركونا في وج فقالت ثقيف كيف نشرككم في وادي نزله أبونا وحفره بيده في الصخر فردت عليهم ثقيف وأنتم لم تجعلوا الحرم وإنما جعله ابراهيم (عليه السلام) فقالت قريش لا تدخلوا حرمنا علينا ولا ندخل عليكم وجكم فلما خشوا الحرب وخشيت ثقيف من خزاعة وبني بكر بن عبد مناة حالفت قريشاً ودعت إخوتها من دوس[8]، فلما حالفت قريش ثقيفاً قالت قريش لثقيف نطلب من دوس ما طلبنا منكم من الشراكة في الدار فقالت ثقيف: بل دوس تحالفكم، فركب عبد ياليل بن معتب ومسعود بن عمرو وهما من ثقيف ثم من الأحلاف في نفر حتى أتو دوساً فقالوا لهم: إن قريشاً طلبت منا أن ندخلهم في وج وأن يدخلونا في الحرم فأبينا ذلك عليهم ثم حالفناهم فرغبوا إلى ما عندكم فأدخلوهم وليدخلوكم وحالفوهم فحالفت دوس قريشاً[9]، الذين حالفوا في قريش من دوس هم بنو سلامان بن مفرج وبنو منهب وبنو مالك وعامة نبيش[10].

يتضح من هذا العقد إ ن الاتفاق بين قريش وثقيف كان على دفع نصيب معين من الغلة أو من ثمرة العمل وهو ما يعرف بالمزارعة[11]. وكان أهل الحجاز يكرون أرضهم يكرونها بالثلث والربع والخمس وأقل وأكثر مما تخرج الأرض[12].

---

(1) المنمق، ص236 - 237.
(2) هو عتبة بن غزوان بن منصور، ويقال: أهيب بن نسيب بن مالك المازني يرجع نسبه إلى معد بن عدنان يكنى أبا عبد الله حليف بني نوفل بن عبد مناف، وهو أول من أختط البصرة مات سنة سبع عشرة ـ ينظر ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج1، ص166 - 167.
(3) المنمق، ص286، 294.
(4) الأصفهاني، ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت، 356 هـ/ 966 م): الأغاني، (دار الثقافة، بيروت، 1965 م)، ج6، ص321.
(5) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله (ت، 821 هـ/ 1418 م):نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري، (د. مط، القاهرة، 1959 م)، ص186.
(6) مدينة تقع على بعد خمسة وسبعين ميلاً الى الجنوب الشرقي من مكة، على ربوه عاليه يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر خمسة الآف قدم، على ظهر جبل غزوان. ينظر ـالاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد (ت،346ه/957م): المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر الحسيني، (دار الثقافة، صنعاء،1961م)، ص24.
(7) البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق، عبد الله أنيس الطباع، (مؤسسة المعارف، بيروت، 1987 م)، ص 77 - 78؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي (ت، 350 هـ/ 961): صورة الأرض: (مكتبة الحياة، بيروت، 1992 م)، ص39.
(8) قبيلة من قبائل الأزد اليمنية ـ ينظر ـ السمعاني: الأنساب، ج4، ص112.
(9) ابن حبيب: المنمق، ص232 - 233.
(10) م. ن، ص235.
(11) هي المعاملة على الأرض ببعض مما يخرج منها ـ النعمان المغربي، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون (ت، 363 هـ/ 973 م): دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله (ﷺ)، تحقيق: آصف بن علي فيضي، (دار المعارف، مصر، 1963 م)، ج2، ص72.
(12) النعمان المغربي: دعائم الإسلام، ج2، ص72؛ الطوسي: النهاية في مجرد الفقه والفتاوي، ط2، (دار الأندلس، بيروت، د. ت)، ص439.

4 . الحمس:

لقد وردت عدة آراء في معنى كلمة الحمس، فقيل أنهم سموا بالحمس لتشددهم في دينهم وكانوا شجعان العرب لا يطاقون[1]، وقيل: سموا بذلك لألتجائهم بالحمساء وهي الكعبة [2]. أما عن بداية نشوء فكرة الحمس قال ابن حبيب [3]: "كانت قريش إبتدعت أمر الحمس رأياً رأوه وأداروه بينهم فقالوا: نحن بنو ابراهيم وأهل الحرمة وولاة البيت وقطان [4] مكة وسكانها فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا منزلتنا، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا"، ويرى الأزرقي أن الحمس كان[5]: "معروفاً عند قريش قبل الإسلام وقبل عهد قصي إلا أنه منحصر في قريش"، ولكن لايعرف تاريخها هل كانت قبل عام الفيل أم بعده [6].

وقد اختلفت الروايات عند أهل السير والمغازي فيمن دخل الحمس مع قريش فإبن سعد قال الحمس هم[7]: "قريش، وكنانة، وخزاعة، ومن ولدته قريش من سائر العرب"، وقبائل الحمس عند ابن حبيب[8]: "قريش، وكنانة، وخزاعة، وبن عامر بن صعصعة كلهم إلا بكر بن عبد مناف، ومن ولدت قريش من أفناء العرب"، وقال الأزرقي [9]: " فالحمس قريش، وكل من ولدته من العرب، وكنانة، وخزاعة، والآوس والخزرج، وجشم، وبنو ربيعة بن عامر بن صعصعة، وأزد شنوءة، وجذم، وبنو ذكوان من بني سليم، وعمرو اللات، وثقيف، وغطفان، والغوث، وعدوان، وقضاعة".

وكان من مبادىء الحمس أنهم تركوا الوقوف بعرفة والإفاضة منها وهم يعلمون ويقرون أنها من المشاعر ودين ابراهيم (عليه السلام) ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها، إلا أنهم قالوا: نحن أهل الحرم فلا ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا أن نعظم غيرها كما نعظمها، ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكني الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم إياهم، يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم [10]؛ ولكن قريشاً بعد أن إنتزعت سيادة مكة وولاية البيت من خزاعة زادت في الحمس وأدخلت فيه أموراً لم تكن قبل ذلك فحددوا مامسموح من المأكل والملبس فقالوا: " ماينبغي للحمس ان يأقطوا الاقط ولايسلأوا السمن[11] وهم حرم ولايدخلوا بيوتاً من شعر ولايستظلوا إن إستظلوا إلا في بيوت الأدم[12] ماكانوا حرماً، ثم رفعوا في ذلك فقالوا: ما ينبغي لأهل الحل ان يأكلوا من طعام جاؤا به معهم من الحل في الحرم إذا جاؤا حجاجاً أو عماراً ولا أن يطوفوا بالبيت إذا جاؤا أول طوافهم الا في ثياب الحمس فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا عراة، فإن تكرم منهم متكرم من رجل أو أمرأة ولم يجد ثياب الحمس وطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل ألقاها إذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم يمسها هو ولا أحد غيره أبداً، فكانت العرب تسمى تلك الثياب اللقى، فحملوا على ذلك العرب"[13]، فدانت به فوقفوا على عرفات وأفاضوا منها وطافوا بالبيت عراة وأخذوا بما شرعوا لهم من ذلك فكان أهل الحل يأتون حجاجاً أو عماراً فإذا دخلوا الحرم وضعوا أزوادهم التي جاؤا بها وابتاعوا من طعام الحرم والتمسوا ثياباً من ثياب الحمس أما عارية وأما بأجارة فطافوا فيها فإن لم يجدوا طافوا عراة "[14].

(1) الفراهيدي: العين، ج3، ص154.
(2) الفيروزأبادي، مجد الدين محمد بن يوسف (ت، 817 هـ/ 1414 هـ): القاموس المحيط، (دار العلم، بيروت، د. ت)، ج2، ص208.
(3) المنمق، ص127.
(4) قطن المكان أقام به وتوطنه ـ ينظر ـ الجوهري: الصحاح، ج6، ص2182.
(5) أخبارمكة، ج1، ص177.
(6)ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص 152.
(7) الطبقات، ج1، ص32.
(8) المنمق، ص128، 226.
(9) أخبار مكة، ج1، ص180.
(10) ابن حبيب: المنمق، ص127.
(11) الأقط شيء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل، وسلأت السمن وستلأته: إذا طبخ وعولج ـ ينظر ـ ابن هشام: السيرة، ج1، ص154.
(12) الأخبية التي تصنع من الجلد ـ ينظر ـ ابن هشام: السيرة، ج1، ص154.
(13) المنمق، ص127 ـ 128.
(14) م. ن، ص128.

وبنا ء على ما تقدم نجد إن تشريع قريش لمبدأ الحمس جاء من إدراكهم لصعوبة عيشهم في واد غير ذي زرع ولا شيء عندهم سوى البيت وتجارتهم التي يقتاتون منها ودليلنا على ذلك ما رواه الجاحظ بقوله[1]: "وقريش من بين جميع العرب دانوا بالتحمس وتشددوا في الدين، فتركوا الغزو ولم تبق مكسبة سوى التجارة "، وذكر الثعالبي أن قريشاً [2]: " كانت لا تتاجر إلا مع من ورد عليها مكة في المواسم بسوق عكاظ وذي المجاز[3] في الأشهر الحرم، ولا تبرح دارها ولا تجاوز حرمها، للتحمس في دينهم والحب لحرمهم والألف لبيتهم، ولقيامهم لجميع من دخل مكة بما يصلحهم"؛ لذلك خطت قريش هذه الخطوة لتصريف بضائعها وتنشيط سوق مكة أيام الحج ففرضت على العرب قاطبة أن يطرحوا أزواد الحل إذا دخلوا الحرم وأن يخلو ثياب الحل ويستبدلوها بثياب الحرم أما شرى وأما إجارة وأما هبة، فهذه الشروط حققت لقريش منافع إقتصادية فعلى الحجاج من غير الحمس أن يبتاعوا ثياباً من تجار قريش والذي يؤدي بدوره إلى زيادة التوجه نحو شراء الثياب الخاصة بالحمس، ومن ناحية ثانية فعلى الرغم من وجود الرفادة التي خصصتها قريش للحج إلا أنه قد لا تسد حاجة الأعداد الكبيرة من الحجاج فضلاً عن أن هناك ممن يظن أن طعام الرفادة يصنع لمن لا يستطيعون الإنفاق، لذلك فإنهم يضطرون إلى شراء الطعام من تجار قريش.

5 . خزاعة:

قبيلة خزاعة من القبائل المختلف في أصلها فعند ابن حزم هي من العدنانيين وعن نسبها قال [4]: "هم بنو خزاعة بن لحي بن عامر بن قمعة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان"، وجعلهم القلقشندي من القحطانيين بقوله[5]: "هم أبناء عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقياء وعمرو هذا أبو خزاعة كلها ومنه تفرقت بطونها". جاءت هذه القبيلة من اليمن إلى مكة بعد تهدم سد مأرب ونزلوا حول مكة وعرفوا فيما بعد بإسم خزاعة لأنهم تخلفوا وإنقطعوا عن قومهم، وقيل إن هذه القبيلة نزلت بمر الظهران[6]، وقيل نزلت بتهامة [7]

تولت هذه القبيلة ولاية البيت بعد أن أخرجت قبيلة جرهم من الحرم الذين طغوا وفسقوا بالحرم[8]، وظلت خزاعة قائمة على ولاية البيت وأمر مكة لفترة خمسة قرون وكان آخرهم حُليل بن حُبشيَّة بن سلول الخزاعي[9]. عمد قصي بن كلاب على استنقاذ مكة وولاية البيت من خزاعة بعد حرب شديدة[10]، إلا ان العلاقات بين قريش وخزاعة قد استمرت لأن خزاعة عندما خرجت من الحرم وحلت قريش مكانها فإنها لم تبعد كثيراً وبقيت بالقرب من مكة وحولها [11]، يضاف إلى ذلك فإن قصي بن كلاب لم يرغب بأن تستمر الصلات عدائية فعمد إلى تحسين العلاقات من خلال المصاهرة فتزوج قصي من حُبي بنت حُليل بن حُبشيَّه سيد خزاعة آنذاك[12]، وهذا أدى إلى نوع من ترابط المصالح بين قريش وخزاعة.

(1) رسائل، ص110 - 111.
(2) ثمار القلوب، ص115.
(3) فأما عكاظ فهو من أكبر أسواق العرب في الجاهلية وكانوا يقيمونها بأعلى نجد في ذي القعدة، وينزلها قريش وسائر العرب وبها كانت مفاخرة العرب وحملاتهم ومهادناتهم، وأما ذي المجاز فتقع بالقرب من عكاظ وكانت تعقد منذ بداية الحج إلى نهايته ـ ينظر ـ اليعقوبي: تاريخ، ج1، ص231.
(4) جمهرة أنساب العرب، ص480.
(5) نهاية الأرب، ص228.
(6) واد قرب مكة ـ ينظر ـ الحموي: معجم البلدان، ج4، ص63.
(7) ابن هشام: السيرة، ج1، ص81؛ اليعقوبي: تاريخ، ج1، ص190؛ ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ت، 630 هـ/ 1232 م): الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفدا عبد الله القاضي، ط4، (دار الكتب العلمية، بيروت، 2006 م)، ج1، ص571. وتهامة مدينة تساير البحر وموازية لأمتداد البحر الأحمر تبدأ من العقبة شمالاً حتى عدن جنوباً، ويقال: هي الناحية الجنوبية من الحجاز، وشمالها حدود مكة أطلق عليها إسم الغور لإنخفاض أرضها عن نجد ـ ينظر ـ ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع، ج1، ص283.
(8) ابن هشام: السيرة، ج1، ص95، 97؛ اليعقوبي: تاريخ، ج1، ص190 - 191؛ ابن الأثير: تاريخ، ج1، ص571.
(9) الأزرقي: أخبار مكة، ج1، ص95، 101.
(10) م.ن، ج1، ص107.
(11) ابن حبيب، المنمق، ص 89.
(12) الزبيري: نسب قريش، ص14.

وخزاعة من جانبها وجدت أن من مصلحتها مجاراة قريش وعدم معاداتها وخاصة بعد أن استقامت الأوضاع لقريش في مكة وعلا شأنها بين القبائل العربية؛ لذلك قال نفر من خزاعة فيما بينهم: والله ما رأينا في هذا الوادى أحسن وجهاً ولا أتم خلقاً ولا أعظم حلماً من عبد المطلب وقد ظلمه عمه حتى استنصر أخواله، وقد ولدناه كما ولده بنو النجار فلو إنا بذلنا له نصرتنا وحالفناه فأجمع رأيهم على ذلك، وعن ذلك قال عبد المطلب[1]:

يـــاطول ليلـــى لاحزانـــي واشـــغالي	هـل مـن رسـول الـى النجـار اخـوالي
قـد كنـت فـيكم ومـا اخشـى ظلامـه ذي	ظلـــم عزيـــزا منيعـــا نـــاعم البـــال
فغـــاب مطلـــب فـــي قعـــر مظلمـــه	وقـام نوفـل كـي يعـدو علـى مـالي
أن رأى رجـــــلاً عاتـــــب عمومتـــــه	وغـــاب اخوالـــه عنـــه بـــلا والٍ
فاسـتنفروا وامنعـوا ضـيم ابـن اخـتكم	لاتخـــذلوه فمـــا انـــتم بخـــذال

من هذا النص ومن القصيدة السابقة يتضح لنا ان عبد المطلب قد اغتصب له مال وان اخواله نصروه لاعادة المال اليه وخزاعة قالت انهم اخواله ايضا فلا بد من نصره لرد حقوقه المالية ونفعه والانتفاع به وبقومه. اذن كان وراء كل ذلك منفعة اقتصادية بين امور اخرى لذلك اتاه وجوههم، فقالوا: " يا أبا الحارث إن كان بنو النجار ولدوك فقد ولدناك ونحن وبعد وأنت متجاورون في الدار فهلم فلنحالفك فأجابهم فأقبل بديل أبو ورقاء بن بديل العدوي، وسفيان بن عمرو، وأبو بشر القميري، وهاجر بن عمير بن عبد العزى القميري، وهاجر بن عبد مناف بن ضاطر، وعبدالعزى بن قطن المصطلقي، وخلف بن أسعد الملحي، وعمرو بن مالك بن مؤمل الحبتري في جماعة من قومهم فدخلوا في دار الندوة فكتبوا بينهم كتاباً، وأقبل عبدالمطلب في سبعة نفر من بني المطلب، والارقم بن نضله بن هاشم وكان من رجال قريش، والضحاك وعمرو ابنا صيفي بن هاشم، ولم يحضره احد من بني عبد شمس ولا نوفل. وعلقوا الكتاب في الكعبة. وكتبوا كتاباً كتبه لهم أبو قيس بن عبد مناف بن زهره بن كلاب، وكان بنو زهرة يكرمون عبد المطلب لصهره[2].

وقد نص الكتاب برواية ابن حبيب[3]: "هذا ماتحالف عليه عبدالمطلب ورجالات بني عمرو من خزاعة ومن معهم من اسلم ومالك، تحالفوا على التناصر والمؤاساة حلفا جامعاً غير مفرق، الأشياخ على الأشياخ والأصاغر على الأكابر، والشاهد على الغائب، وتعاهدوا وتعاقدوا ماشرقت الشمس على ثبير[4]، وما حن بفلاة بعير، وما قام الاخشبان[5] وما عمر بمكة انسان، حلف أبد لطول أمد، يزيده طلوع الشمس شداً وظلم الليل مداً. عقده عبد المطلب بن هاشم ورجال بني عمرو، فصاروا يداً دون بني النضر فعلى عبدالمطلب النصره ولهم على كل طالب وتر في براً أو بحراً أو سهل أو وعر، وعلى بني عمرو النصره لعبد المطلب وولده على جميع العرب في الشرق أو الغرب أو الحزن أو السهب وجعلوا الله على ذلك كفيلاً وكفى بالله حميلاً[6] "وورد النص عند البلاذري بصورته التي رواها ابن حبيب ولكن بشيء من الإضافة والتي جاء فيها[7]: "وان عبدالمطلب وولده ومن معهم دون سائر بني النضر من كنانه، ورجال خزاعة متكافئون، متضافرون،

(1) ابن حبيب: المنمق، ص84.
(2) م. ن، ص 87.
(3) م. ن، ص 87 - 88.
(4) هو من أعظم جبال مكة ـ ينظر ـ ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع، ج1، ص292.
(5) هما جبلان يضافان تارة إلى مكة وتارة إلى منى وهما واحد، أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان، ويقال: بل هما أبو قبيس والجبل الأحمر المشرف هنالك، ويقال: هما الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى، ويقال: هما أبو قبيس الوالجبل المشرف على الصفا ـ ينظر ـ الحموي: معجم البلدان، ج1، ص122؛ ابن عبد الحق: مراصد الإطلاع، ج1، ص42.
(6) الكفيل ـ ينظر ـالزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت، 1205 هـ/ 1790 م): تاج العروس من جواهر القاموس، (مكتبة الحياة، بيروت، د. ت)، ج7، ص289.
(7) أنساب الأشراف، ج1، ص 79،80.

متعاونون... ". بعد ان كتبت هذه المعاهده علقت في الكعبة؛ وذلك لإعطاء قدسية الحلف وللتعبير عن الالتزام به، وعن هذه المعاهدة قال عبد المطلب[1]:

سأوصي زبيراً ان توافت منيتي بامساك مابيني وبين بني عمرو
وأن يحفظ الحلف الذي سن شيخه ولايلحدن فيه بظلم ولاغدر
هم حفظوا الإل القديم وحالفوا أباك وكانوا دون قومك من فهر

فأوصى عبد المطلب إلى إبنه الزبير، وأوصى الزبير إلى أبي طالب وأوصى أبو طالب إلى العباس[2]، ومما يصدق حلف هاشم وخزاعة قول شيبان بن جابر السلمي الخزاعي حين أقبل إلى المقوم بن عبد المطلب يحالفه فقال[3]:

أحالفكم حلفاً شديداً عقوده كحلف بني عمرو أباك بن هاشم

6 . الفضول:

اختلفت الروايات في سبب تسمية هذا الحلف بالفضول ففي رواية ابن حبيب قال [4]: "لأنه خرج من حلف المطيبين والأحلاف (لعقة الدم)، فكان فضلاً بينهما وقد حكي أنه سمي (حلف الفضول) لأن قريشاً لما سمعت بما تحالفوا عليه قالوا: هذه والله الفضول وخرجوا من مكانهم حتى تحالفوا فإنطلقوا إلى العاص بن وائل فقالوا، والله لا نفارقك حتى تؤدي إليه حقه فأعطى الرجل حقه فمكثوا كذلك لا يظلم أحداً أحداً بمكة إلا أخذوه له"، وقال في موضع آخر سمي حلف الفضول[5]: "لأنهم تحالفوا ألا يتركوا عند أحد فضلاً بظلمه أحداً إلا أخذوه منه"، وقيل إنما سمي حلف الفضول لأن كانت قد سبقت قريش إلى مثل هذا الحلف، فتحالف منهم ثلاثة رجال ومن تبعهم هم (الفضل بن قضاعة، والفضل بن حشاعة، وفضيل بن بضاعة)، فلما تحالفت قريش بما يشبه بحلف هؤلاء الجرهميين سمي بحلف الفضول[6]، وقيل سميت قريش حلفهم الفضول لما فيه من الشرف والفضل[7].

عقد هذا الحلف عند منصرف قريش من حرب الفجار[8] ورسول الله (ﷺ) يومئذ ابن عشرين سنة وبينه وبين الفيل عشرون سنة، فقالوا: كان الفجار في شوال وكان الحلف في ذي القعدة[9]، وقال في موضع آخر كان قبل أن يوحى إلى رسول الله (ﷺ) بخمس سنين[10]. والقبائل التي تحالفت حسب رواية ابن هشام بين (بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو أسد بن عبد العزى، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة)[11]، زاد عليهم ابن حبيب (بنو مخزوم، وبنو جمح، وبنو سهم، وبنو عدي، وبنو عبد الدار)، وكانت شيوخ من قريش من بني هاشم وزهرة وتيم يقولون: لم يكن بيننا حلف قط حتى كان هذا الحلف[12].

(1) ابن حبيب: المنمق، ص88.
(2) م. ن، ص89.
(3) م. ن، ص90.
(4) م.ن، ص54.
(5) م. ن، ص279.
(6) اليعقوبي: تاريخ، ج2، ص13 ـ اختلفت المصادر التاريخية في أسماء هؤلاء الجرهميين فأسمائهم عند الثعالبي (الفضل بن شُراعة، والفضل بن قضاعة، والفضل بن بضاعة) ـ ينظر ـ ثمار القلوب، ج1، ص138؛ وأسمائهم عند ابن الأثير (الفضيل بن الحارث الجرهمي، والفضيل بن وداعة القطوري، والمفضل بن فضالة الجرهمي) ـ ينظر ـ الكامل، ج1، ص570
(7) الثعالبي: ثمار القلوب، ج1، ص139.
(8) حدثت هذه الحرب وعمر الرسول (ﷺ) أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة، سميت هذه الحرب بالفجار لأنها كانت في الأشهر الحرم ومن قاتل في الأشهر الحرم قيل أنه قد فجر ولم يقاتل رسول الله (ﷺ) فيها ـ ينظر ـ ابن هشام: السيرة، ج1، ص142؛ اليعقوبي: تاريخ، ج2، ص11.
(9) المنمق، ص186.
(10) م. ن، ص53.
(11) السيرة، ج1، ص109.
(12) المنمق، ص189.

يعد الزبير بن عبد المطلب بن هاشم أول من تكلم فيه ودعا إليه وذلك ان الرجل من العرب أو غيرها من العجم ممن كان يقدم بالتجارة ربما ظلم بمكه، وكان الذي جر ذلك أن رجلاً من بني زبيد [1] قدم بسلعة فباعها العاص بن وائل السهمي فظلمه ثمنها فناشده الزبيدي في حقه فلم يعطه فأتى الزبيدي الأحلاف: بنو عبد الدار، بنو مخزوم، بنو جمح، بنو سهم، بنو عدي فأبو أن يعينوه وزجروه، فلما رأى الزبيدي الشر وافى على أبي قبيس قبل طلوع الشمس وقريش في انديتهم حول الكعبة وصاح [2]

يـا للرجـال لمظلـوم بضـاعته بـبطن مكـه نـائي الأهـل والنفـر
إن الحـرام لمـن تمـت حرامتـه ولا حـرام لثـوبي لابـس الغـدر

وقال أيضاً [3]:

يـا آل فهـر لمظلـوم بضـاعته بـبطن مكـه نـائي الأهـل والنفـر
ومحـرم شـعث لـم يقـض عمرتـه بـا آل فهـر وبـين الحجـر والحجـر
هل مخفر من بني سهم بخفرته أم ذاهـب فـي ضـلال مـال معتمـر
إن الحـرام لمـن تمـت حرامتـه
ولا حـرام لثـوب الفـاجر الغـدر

قال ابن حبيب فمشى في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال: ما لهذا منزل، فإجتمعت بنو هاشم وزهرة وتيم في دار عبد الله بن جدعان [4] وتعاقدوا وتعاهدوا بالله قائلين لنكونن مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه ما بل بحر صوفة، وفي التأسي في المعاش فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول وقال الزبير بن عبد المطلب فيه شعراً [5]:

حلفـت لنعقـدن حلفـاً علـيهم وان كنـا جميعـاً أهـل دار
نسـميه الفضـول إذا عقـدنا يعـز بـه الغريـب لـدى الجـوار

فتحالفوا بينهم ألا يظلم بمكة أحد إلا كنا جميعاً مع المظلوم على الظالم حتى نأخذ له مظلمته ممن ظلمه شريف أو وضيع منا أو من غيرنا، وقد حظي هذا الحلف بالرضا والقبول من رسول الله (ﷺ) إذ كان ممن حضره ودخل فيه وعنه قال: لقد حضرت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أني نقضته وإن لي حمر النعم، ولو دعيت إليه اليوم لأجبت[6].

وقد ساق ابن حبيب روايات عن أثر هذا الحلف من الناحية الإقتصادية فعنه أن رجلاً قدم من ثمالة[7] إلى مكة فباع سلعة له من أبي بن خلف بن وهب الجمحي فمطله حقه فأتى إلى أهل حلف الفضول فأخبرهم، فقالوا له اذهب إليه فأخبره إنك أتيتنا فإن إعطاك حقك وإلا فإرجع إلينا فأتاه فقال له إني قد أتيت حلف الفضول فأمروني أن أرجع إليك فأخبرك إني

(1)واسم ابي منبه بن ربيعه بن سلمه بن مازن من ربيعه بن منيه بن صعب بن سعد العشيرة ـ ينظر ـ البلاذري: انساب، ج2، ص279.
(2) ابن حبيب: المنمق، ص52، 186 - 187.
(3) م. ن، ص52 - 53.
(4) هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي القرشي، يكنى أبا زهير، يضرب به المثل في كرمه حتى قيل إن جفنة ابن جدعان يأكل منها القائم والراكب لعظمها ـ ينظر ـ الزمخشري: الفايق، ج2، ص256؛ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت، 852 هـ/ 1448 م): الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، ط1، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 ه)، ج4، ص33.
(5) المنمق، ص 279، 187.
(6) م. ن، ص53، ص188.
(7) بطن من بطون الأزد اليمنية يرجع نسبهم إلى عوف بن أسلم بن أحجن... بن نصر بن أزد ـ ينظر ـ السمعاني: الأنساب، ج5، ص150.

قد أتيتهم وقد رجعت إليك فما تقول ؟ فأخرج أبي حقه فأعطاه إليه [1]. وفي رواية أخرى أن رجلاً تاجراً قدم من خثعم[2] إلى مكة فعلقت إبنة له من قبل نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم فإشتكى إلى حلف الفضول فذهبوا إليه فقالوا: أخرج إبنة هذا الرجل فأخرجها وأعطوها أباها[3] تدلل تلك الروايتين على أن حلف الفضول يعد بمثابة القوة الدفاعية عن مكة لمن دخلها من خارجها من التجار؛ وعليه فإن هذه القوة ستساعد على إستقطاب أكبر عدد من التجار إلى مكة وبالتالي سيزداد النشاط الإقتصادي بفعل الأمان الذي حققه حلف الفضول.

7 . المطيبين:

حدث هذا الحلف نتيجة الخلاف بين بني عبد مناف وبني عبد الدار إبني قصي بن كلاب، وكان سببه الخلاف الناشب بين الأحفاد حول الأرث الأقتصادي لقصي بن كلاب الذي يعد أول رجل أصاب ملكاً وأطاع له قومه، وأول باني لمجد اقتصاد مكة بعد أن استنقذ مكة وولاية البيت من جرهم وخزاعة بعد حرب شديدة [4]، لقد عمل قصي بن كلاب جاهداً على إيجاد وظائف في مكة، فإبتنى دار الندوة ففيها كانت تكون أمور قريش فيما ينوبهم وفيما أرادوا من نكاح أو حرب أو مشورة[5]، وعن هذه الدار قال الأزرقي[6]: "وهي دار قصي بن كلاب بمكة... فكان قصي لا يقضي أمراً إلا فيها ولا تخرج تجارة إلا منها "، كانت جميعها بيده هي الحجابة[7]، والسقاية[8]، والرفادة[9] واللواء[10] فلما كبر قصي ورق جعل هذه الوظائف الخمس لعبد الدار وكان أكبر ولده وكان ضعيفاً مسناً فخصه بذلك ليلحقه بأخوته[11]، غير أن الأزرقي قد ذكر بأنه قسم أمور مكه بين إبنيه عبد الدار وعبد مناف فكانت لعبد الدار الحجابة والندوة واللواء بينما اصبحت لعبد مناف السقاية والرفادة[12]، فيما قال اليعقوبي أن قصي بن كلاب قسم الوظائف بين ولده فجعل السقاية والرئاسة لعبد مناف والدار لعبد الدار والرفادة لعبد العزى فيما لم يشر إلى الحجابة[13]، غير ان البلاذري يؤيد ابن حبيب في روايته ويقول[14]: "كان قصي شديد الحب لعبد الدار وكان عبدالدار مضعوفاً فجعل له بعده دار الندوة، والحجابه، واللواء، والرفادة، والسقاية ".

على أية حال احترم أبناء قصي رغبة أبيهم بما آثر به بكره عبد الدار عليهم، فلم ينازعوه مكانه طوال حياته، على الرغم من أنهم يتقدمون عليه بالشرف[15]، وذكر أنه ربما المقصود بالشرف الغنى والنفوذ[16]، إلا إن الصراع دب بين أحفاد قصي من أجل توزيع هذه الوظائف وإستئثار بني عبد الدار بها دون سائر أحفاد قصي، وقد روى ابن حبيب عن هذا الصراع قائلاً[17]: "لما بنيت الكعبة جزأوها أربعة أجزاء فصار لبني عبد مناف ما بين الحجر الأسود إلى ركن الحجر فناء

(1) المنمق، ص54.
(2) هم من القبائل القحطانية بنسبون إلى خثعم بن أنمار بن آراش بن عمرو الغوث، أقاموا في منازلهم من جبال السراة وما والاها أو قاربها ـ ينظر ـ السمعاني: الأنساب، ج2، ص326؛ الحموي: معجم الأدباء، ج4، ص79.
(3)المنمق، ص55.
(4) ابن سعد: الطبقات، ج1، ص30..
(5) ابن حبيب: المنمق، ص32.
(6) أخبار مكة، ج1، ص109 ـ 110؛ وينظر ـ الثعالبي: ثمار القلوب، ج2، ص165.
(7) وتسمى السدانة وهي رعاية البيت والقيام على اعداده للزائرين فكان القائم بها يمتلك مفاتيح الكعبة لا يدخل إلا بأذنه ـ ينظر ـ الفراهيدي: العين، ج7، ص228؛ السهيلي: الروض الأنف، ج2، ص33.
(8) هي إحدى الوظائف الدينية يتولى صاحبها سقاية الحجيج بمكة ينظر ابن الأثير: النهاية، ج2، ص382.
(9) هي خراجاً تخرجه قريش من أموالها لضيافة الحاج، وقد ورد عن قصي بن كلاب أنه قال لقومه: يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم، وإن الحجاج ضيف الله وزوار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فإجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام هذا الحج، حتى يصدرواعنكم، ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجاً تخرجه قريش في كل موسم فيدفعونه إلى قصي ـ ينظر ـ ابن حبيب: المنمق، ص33؛ الأزرقي: أخبار مكة، ج1، ص195؛ السهيلي: الروض الأنف، ج2، ص55.
(10) الراية التي تستخدم في القتال ـ ينظر ـ ابن الأثير: النهاية، ج4، ص279.
(11) ابن حبيب: المنمق، ص32. اختلفت المصادر في أول من أوجد الرفادة والسقاية فالأزرقي نسبها إلى ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحي الخزاعي الذي تقاسم مع أبناء إسماعيل (ﷺ) على ادارتها ـ ينظر ـ أخبار مكة، ج1، ص 95، 100؛، فيما قال المسعودي: كان عبد المطلب أول من أقام الرِّفادة والسقاية للحاج وكان أول من سقى الماء بمكة عذباً ـ ينظر ـ أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت، 346 هـ/ 975 م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط2، (دار الكتاب العربي، بيروت، 2007 م)، ج2، ص134.
(12)أخبار مكه، ج1، ص 110.
(13) تاريخ، ج1، ص206.
(14)أنساب الاشراف، ج1، ص 59.
(15) ابن هشام: السيرة، ج1، ص107.
(16) الثعالبي: ثمار القلوب، ج1، ص139.
(17) المنمق، ص273 ـ 274.

البيت أجمع، وصار لأسد وبني عبد الدار وزهرة الحجر كله وصار لمخزوم وتيم دبر البيت، وصار لسائر قريش ما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود، فلما بنوه وفرغوا منه تنافسوا في من يرفعه فقالت بنو عبد مناف هو حيزنا وقالت قريش ليس الركن مما إقتسمنا وأرادوا فيه الشر حتى حكموا أول من يطلع عليهم من قريش من باب السيل، فطلع عليهم رسول الله (ﷺ) فحكموه فأخذ ردائه فوضعه ثم رفع الحجر بيده وقال لكل ربع: خذوا بطرف من أطراف الثوب فرفعوه جميعاً ثم دخل رسول الله (ﷺ) تحت الحجر فبناه بيده فلما فرغوا من البنيان وعمرو البيت والسقاية قالت بنو عبد مناف بيد إخواننا عبد الدار الرفادة واللواء والندوة والحجابة وليس بأيدينا إلا السقاية، فقالوا لهم هلم أعطونا بعض ما في أيديكم، فقال بنو عبد الدار: لا نعطيكم ما ورثناه عن أبينا وجدنا... ".

وروى أيضاً أن بني عبد مناف لما رأوا شرفهم وكثرتهم أرادوا أخذ البيت من بني عبد الدار فأبت بني عبد الدار وقالوا والله لنمنعنه وأصبحت عبد مناف فقلوا: والله لنأخذنها منهم وأصبحت قريش في ذلك فرقاً[1] وكان مع بني عبد مناف (بنو أسد بن عبد العزى بن قصي، وبنو زهرة بن كلاب، وبنو تيم بن مرة بن كعب، وبنو الحارث بن بن مالك بن النضر)، وكان مع بني عبد الدار (بنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب، وبنو جمح بن عمرو، وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة، وبنو عدي بن كعب) فبنو عبد مناف يقال لهم المطيبون، وبني عبد الدار وحلفائهم يقال لهم الأحلاف' وهؤلاء سموا لعقة الدم لأنهم نحروا جزوراً فغمسوا أيديهم في دمها، ولعق رجل من بني عدي يقال له الأسود بن حارثة لعقة من الدم ولعقوا منه فسموا لعقة الدم[2].

كل من الطرفين أعد العدة للقتال وعبيت كل قبيلة لقبيلة فعبيت بنو عبد عبد مناف لبني سهم، وبنو عبد الدار لبني أسد، وبني مخزوم لبني تيم، وبنو جمح لبني زهرة، وبنو عدي بن كعب لبني الحارث بن فهر[3]؛ غير أن الحرب لم تضع أوزارها؛ إذ أنهم تداعوا للصلح على أن تعطي بنو عبد مناف السقاية وبنو أسد الرفادة وتركت الحجابة والندوة واللواء لبني عبد الدار، ثم جرى بين القوم الشر حتى كادوا يقتتلون فصارت الحجابة واللواء لبني عبد الدار، وصارت الندوة لبني عبد مناف[4]، وثبت كل قوم مع من حالفوا حتى جاء الإسلام وهم على ذلك فقال رسول الله (ﷺ) ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلا شدة[5].

ولتحقيق التوازن بين حفدة قصي عمدت أم حكيم بنت عبد المطلب بن هاشم ويقال: بل عاتكة أثبت من أم حكيم وهو المجمع عليه فأخذت جفنة عظيمة فملأتها خلوقاً ثم أقبلت بها تحملها حتى وضعتها في الحجر فقالت: من تطيب من هذه الجفنة فهو منا فقامت أسد فتطيبت وقامت الحارث بن فهر فتطيبت وتطيبت زهرة بن كلاب وتيم بن مرة، فهذه خمس قبائل يسمون المطيبين (عبد مناف، وأسد بن عبد العزى، وزهرة، والحارث بن فهر، وتيم بن مرة)، وتعمد بنو سهم فنحروا جزوراً ثم غمسوا أيديهم في دمها وقالوا من غمس يده فيه فهو منا فغمست جمح وسهم وعبد الدار ومخزوم وعدي بن كعب ثم دخلوا البيت وتحالفوا بالله أن لا يسلم أحدٌ منا أحداً فسموا الأحلاف وهم خمس قبائل (عبد الدار، وسهم، وجمح، ومخزوم، وعدي بن كعب)[6].

ومن نافلة القول يرى الباحث إن الدوافع الرئيسية لحلف المطيبين إقتصادية، إذ إن الخلاف نشب حول وظائف مكة الإدارية (الندوة، الحجابة، السقاية، الرفادة)، فإذا نظرنا إلى الندوة فكانت لا يقضى أمراً إلا فيها ولا تخرج تجارة إلا منها وكانت قريش قد فرضت ضريبة العشر على كل من يدخل مكة من غير قريش[7]، وإذا نظرنا إلى الحجابة فإن هذه الوظيفة هامة جداً نظراً لمركز الكعبة عند العرب ولأن البيت الحرام هو الذي أعطى لمكة قدسيتها ومكانتها، وجلب إليها الحجاج

(1) م. ن، ص50.
(2) م. ن، ص33؛ وينظر - ابن هشام: السيرة النبوية، ج1، ص 107؛ ابن سعد: الطبقات، ج1، ص34؛ اليعقوبي: تاريخ، ج2، ص12.
(3) ابن حبيب: المنمق، ص33، 190.
(4) م. ن، ص34، 190.
(5) اليعقوبي: تاريخ، ج2، ص12؛ ابن الأثير: الكامل، ج1، ص351.
(6) المنمق، ص50 - 51.
(7) ابن هشام: السيرة، ج1، ص94.

من كافة الأنحاء وعلى الحجاج تقوم حياة مكة الإقتصادية، لأن الحج يرافقه عقد أهم الأسواق التجارية في مكة لتصريف البضائع أو لتصديرها، يضاف إلى ذلك كان بجانب هؤلاء الحجاب أو ما يعرف بالسدنة كهان كانوا يدّعون معرفة الغيب[1]، وبالتالي فإن وجود هؤلاء الكهنة في الكعبة مما يضفي عليهم صفة القدسية الناتجة عن قدسية الكعبة نفسها ويجعل ما يتنبئون به يلقى تصديقاً أكثر من الآخرين، وإنه ربما كان لهؤلاء الكهنة دور كبير في الدعاية للحج الذي كانوا يحصلون بواسطته على النذور والأضاحي التي تقدم في مواسم الحج من قبل القادمين إلى مكة للتجارة والحج.

وأما السقاية فإن لها دوراً كبيراً في إستقطاب الحجاج إلى مكة خصوصاً وإن مكة بلد فيه المياه شحيحة، وإن الحاج إليها يلقى عبئاً شديداً إذا لم تتوفر له المياه، وإن اعداد الوافدين إليها في تلك المواسم كبير جداً، ولتلافي هذه المشكلة حفرت قريش آباراً كثيرة بلغت أكثر من عشرة آبار وقد جعلت هذه الآبار لعامة الناس، ولأصحاب القوافل التجارية[2]. وأما الرفادة فإن لهذه الوظيفة سياسة بعيدة النظر؛ إذ أن الحجاج الذين يفدون إلى مكة من الأماكن البعيدة يجدون مشقة في حمل المؤن والزاد عن طريق الصحراء، لذلك فإن إعداد الطعام يشكل دافعاً لهم للقدوم إلى مكة، وقد يرافق الرفادة شراء الطعام من تجار قريش من قبل الحجاج الذين يظنون إن طعام الرفادة يصنع لمن لا يستطيعون الإنفاق.

الخلاصة:

بعد هذه الدراسة لأحلاف قريش في كتاب المنمق صار بالإمكان التوصل إلى النتائج الآتية:

1. تناولت روايات محمد بن حبيب الأحلاف التي عقدت بين الدول والأحلاف التي عقدت بين العشائر في حقبة تاريخية سابقة للإسلام؛ إذ كان لهذه الحقبة خصوصيتها من حيث الطبيعة الجغرافية لبلاد العرب الذي وصف بأنه في وادٍ غير ذي زرع، وقد ساهمت هذه الطبيعة على تحديد نشاط أهلها بالتجارة، ونظراً لأن قريش في مرحلتها التجارية الأولى كانت لا تفارق حرمها لذلك عقدت الأحلاف لضمان وصول تجارات المناطق الخارجة عن مكة إليها.
2. أكد ابن حبيب على أن قريش كانت مقتصرة في نشاطها التجاري على مكة وما أن عقد الإيلاف حتى كان تجار قريش يجوبون البلاد ويسيّرون القوافل التجارية إلى أماكن مختلفة وقد تحقق ذلك بفضل أبناء قصي بن كلاب حيث تحولت قريش من وسيط تجاري إلى تجار عالميين يسيّرون القوافل التجارية من دار الندوة ولمختلف الإتجاهات، وكان أول من خرج منهم خارج مكة هو هاشم بن عبد مناف من خلال حصوله على الإيلاف من قيصر الروم، يليه حصول إخوته على مثل هذا الحلف من نجاشي الحبشة وملوك اليمن وكسرى في العراق؛ وبذلك أصبحت قريش ممسكة بزمام التجارة في بلاد العرب وتنعقد فيها وحولها أعظم الأسواق التجارية.
3. توضحت من روايات ابن حبيب بأن الخطوة التالية التي إتبعتها قريش هي كسب ود جميع القبائل؛ إذ عقدت قريش مع سادات ورؤساء هذه القبائل الذين تمر التجارة بأراضيهم الأحلاف التي تمهد لتلك القوافل المرور بأراضيهم، إذ لولا هذه الأحلاف التي تمت معهم لبقيت تجارة قريش معرضة للنهب أو لربما لم تصل إلى الأماكن التي إتفقوا مع حكامها، كما إستعانت قريش بالأدلاء للقوافل التجارية من هذه القبائل الضاربة على طول الطرق التجارية كعتبة بن غزوان من بني سليم.
4. لا تقتصر مرويات ابن حبيب على الأحلاف في المجال التجاري، بل شملت أيضاً أحلاف ذات الميزة الزراعية يتضح ذلك من الحلف الذي عقد بين قريش وثقيف مما يدل على أن عرب ما قبل الإسلام عرفوا المزارعة وتعاملوا بها.

(1) ابن حبيب: المنمق، ص405.
(2) البلاذري: فتوح البلدان،، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987 م)، ص65 - 69.